The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Philippians 1:15-30	فيلبِّي 1: 15–30
#C2606_Pt.3	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 332
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ صَديقي المُستَمِع في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم".

في حَلْقَةِ اليوَم، سَنُتابِعُ بِمَشيئَةِ الربِّ دِراسَتَنا لِرِسالَةِ بُولُسَ الرَّسول إلى أهْلِ فيلبِّي. وَمَا نَأمَلُهُ وَنَرْجوهُ مِنْ أعْماقِ قُلوبِنا هُوَ أنْ تَكونَ، عَزيزي المُسْتَمِع، قَدْ تَبارَكْتَ، واسْتَفَدْتَ، وَحَقَّقْتَ نُضْجًا في عَلاقَتِكَ بالربِّ يَسوعَ المَسيح مِنْ خِلالِ هَذِهِ التَّفسيراتِ وَالتأمُّلات.

وَالآنْ، إنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على الأصْحاحِ الأوَّلِ مِنْ هَذا السِّفْرِ النَّفيسِ وَهَذِهِ الرِّسالَةِ العَظيمَةِ (أي الرِّسَالَةِ إلى أهْلِ فيلبِّي). أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ يا صَديقي هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

والآنْ، نَتْرُكُكُمْ أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين مَعَ دَرْسٍ جَديدٍ مِنَ رِسالَةِ بُولُسَ الرَّسولِ إلى أهْلِ فيلبِّي ابْتِداءً بالأصْحاحِ الأوَّلِ وَالعَدَدِ الخامِسِ عَشَر؛ دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

يَقولُ بولسُ الرَّسولُ في العَدَدَيْنِ الخامِس عَشَر والسَّادِس عَشَر:

أَمَّا قَوْمٌ فَعَنْ حَسَدٍ وَخِصَامٍ يَكْرِزُونَ بِالْمَسِيحِ، وَأَمَّا قَوْمٌ فَعَنْ مَسَرَّةٍ.
فَهؤُلاَءِ عَنْ تَحَزُّبٍ يُنَادُونَ بِالْمَسِيحِ لاَ عَنْ إِخْلاَصٍ، ظَانِّينَ أَنَّهُمْ
يُضِيفُونَ إِلَى وُثُقِي ضِيقًا.

فَلأنَّ الرَّسولَ بولسَ كانَ قائِدًا نَشِطًا وَناجِحًا، كانَ لَهُ أصْدِقاءٌ كُثُر وَأعْداءٌ كُثُر أيْضًا. وَهَذا هُوَ الثَّمَنُ الذي يُضْطَرُّ القادَةُ إلى دَفْعِهِ أحْيانًا. فَمَعَ أنَّهُمْ يَجْمَعونَ مِنْ حَوْلِهِمْ أصْدِقاءَ مُخْلِصين، فإنَّهُمْ يَجْمَعونَ أيْضًا عَدَدًا لا يُسْتَهانُ بِهِ مِنَ الأعْداء. وَلَمْ يَكُنِ الرَّسولُ بولسُ استِثْناءً لِهَذِهِ القاعِدَةِ. فَقَدْ كانَ هُناكَ أشْخاصٌ يَغارونَ مِنَ الرَّسولِ بولُس، وَمِنْ خِدْمَتِهِ، وَمِنَ اسْتِخْدامِ اللهِ لَهُ. لِذلكَ، فَقَدِ اسْتَغَلُّوا فُرْصَةَ وُجودِهِ في السِّجْنِ وَراحوا يُنادونَ بالمَسيحِ لا عَنْ إخْلاصٍ، بَلْ عَنْ تَحَزُّبٍ ظَنًّا مِنْهُمْ أنَّ ذَلِكَ سَيَجْعَلُ السُّلُطاتِ تُضَيِّقُ الخِناقَ على بولُسَ أكْثَرَ فأكْثَر. أوْ رُبَّما فَعَلوا ذلكَ ظَنًّا مِنْهُمْ أنَّ غِيابَ بولُسَ عَنِ السَّاحَةِ سَيَجْعَلُ الأضْواءَ تَتَسَلَّطُ عليهم. وَمَعَ أنَّ دَوافِعَهُمْ كانَتْ خاطِئَةً تَمامًا، فإنَّ بولُسَ كانَ فَرِحًا وَمَسْرورًا بِما يَحْدُث. لِذا فإنَّهُ يَقولُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ فيلبِّي 1: 17 و 18:

وَأُولئِكَ عَنْ مَحَبَّةٍ، عَالِمِينَ أَنِّي مَوْضُوعٌ لِحِمَايَةِ الإِنْجِيلِ. فَمَاذَا؟ غَيْرَ أَنَّهُ
عَلَى كُلِّ وَجْهٍ سَوَاءٌ كَانَ بِعِلَّةٍ أَمْ بِحَقّ يُنَادَى بِالْمَسِيحِ، وَبِهذَا أَنَا أَفْرَحُ.
بَلْ سَأَفْرَحُ أَيْضًا.

وإلَيْكَ، صَديقي المُستمع، شَرْحًا لِما جَرى آنَذاك: فَعِنْدَما تَمَّ إلْقاءُ القَبْضِ على بولُس، حَزِنَ أصْدقاؤُهُ لِما حَدَثَ لأنَّهُمْ كانُوا واثِقينَ مِنْ بَراءَتِهِ. أمَّا أعْداؤُهُ فَفَرِحوا بِحَقيقَةِ أنَّهُ مَسْجون. وَقَدْ كانَ وُجودُهُ في السِّجْنِ حافِزًا لأصْدقائِهِ وأعْدائِهِ على حَدٍّ سَواء. فَمِنْ جِهَةٍ أُوْلى، ضَاعَفَ أحِبَّاؤُهُ جُهودَهُمِ الكِرازِيَّة لكي لا تَتَأثَّرَ الكِرازَةُ سَلْبًا. وَقَدْ كانُوا يَعْمَلونَ يَقينًا أنَّ هَذا سَيَجْلِبُ الفَرَحَ وَالسُّرورَ إلى قَلْبِ الرَّسولِ بولُس. وَمِنْ جِهَةٍ ثانِيَة، رَاحَ خُصُومُهُ يَكْرِزونَ بالإنْجيلِ لا بِدافِعِ مَحَبَّتِهِمْ للربِّ يَسوعَ المَسيح، وَلا بِدافِعِ رَغْبَتِهِمْ في خَلاصِ الآخَرين، بَلْ بِدافِعِ التحزُّب. والكَلِمَةُ التي يَسْتَخْدِمُها بولسُ هُنا بِمَعْنى "التَّحَزُّب" تُشيرُ إلى الشَّخْصِ الذي يَعْمَلُ لأجْلِ الحُصولِ على الأجْرِ فَقَطْ أيْ لأجْلِ مَصْلَحَتِهِ الشخصيَّة.

وَنَفْهَمُ مِنْ كَلامِ الرَّسولِ بولُس أنَّ كِرازَةَ هؤلاء لَمْ تَكُنْ في ذاتِها خاطِئَةً أوْ مُخالِفَةً لِتَعْليمِ الرُّسُل. فالحَقيقَةُ هِيَ أنَّهُمْ كانُوا يَكْرِزونَ بِذاتِ الرِّسالَةِ التي كانَ الرُّسُلُ يَكْرِزونَ بِها. وَلَكِنَّ العِلَّةَ الوَحيدَةَ في كِرازَتِهِمْ بالإنْجيلِ هِيَ أنَّ دَوافِعَهُمْ كانَتْ خَاطِئَة. فَقَدْ وَجَدوا في سِجْنِ بولُس فُرْصَةً مُواتِيَةً لِبَسْطِ نُفوذِهِمْ، وإبْرازِ تَحَزُّبِهِمْ، وأخْذِ مَكانِ بولُس.

وَلَكِنْ ما رأيُ بولُس في ما كانَ يَجْري؟ مِنَ المُدْهِشِ وَالرَّائِعِ أنْ نَرى مَوْقِفَ بولُسَ مِمَّا حَدَث. فَهُوَ لَمْ يَشْعُر بالغَيْرَةِ أوِ الحَسَدِ أوِ المَرارَةِ أوِ الكَراهِيَةِ لِهؤلاءِ الخُصوم. فَقَدْ كانَ كُلُّ ما يَبْحَثُ عَنْهُ وَيَتوقُ إليهِ هُوَ أنْ يَرى المُؤمِنينَ يُنادونَ بالمَسيح. لِذا فإنَّهُ يَقولُ: "غَيْرَ أنَّهُ عَلى كُلِّ وَجْهٍ سَوَاءٌ كَانَ بِعِلَّةٍ أمْ بِحَقّ يُنَادَى بِالْمَسِيحِ، وَبِهذَا أنَا أفْرَحُ. بَلْ سَأفْرَحُ أيْضًا". أجَلْ يا صَديقي! فَقَدْ كانَ بولسُ فَرِحًا بالرَّغْمِ مِنْ قُيودِهِ. وَقَدْ كانَ عاقِدَ العَزْمِ على الاسْتِمرارِ في الفَرَح. لِماذا؟ يُجيبُ الرَّسولُ بولسُ عَنْ هَذا السُّؤالِ قائِلًا في العَدَدَيْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ والعِشرين:

لأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هذَا يَؤُولُ لِي إِلَى خَلاَصٍ بِطَلْبَتِكُمْ وَمُؤَازَرَةِ رُوحِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، حَسَبَ انْتِظَارِي وَرَجَائِي أَنِّي لاَ أُخْزَى فِي شَيْءٍ، بَلْ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ كَمَا فِي كُلِّ حِينٍ، كَذلِكَ الآنَ، يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ.

إذًا، فَقَدْ كانَ بولسُ فَرِحًا وَعاقِدَ العَزْمِ على الاسْتِمْرارِ في الفَرَحِ لأنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أنَّ تِلْكَ الكِرازَةَ سَتَؤولُ إلى خَيْرٍ أسْمى وَأشْمَل. وَيا لَها مِنْ صُوْرَةٍ مُشَرِّفَةٍ للخادِمِ المَسيحيِّ الحَقيقيِّ! فَالرَّسولُ بولسُ لَمْ يَكُنْ يَهْتَمُّ بِمَنْ سَيأخُذُ الفَضْلَ والمَدْحَ مِنَ النَّاس. بل كانَ كُلُّ ما يَتوقُ إليهِ هُوَ أنْ يَرى عَمَلَ المَسيح يُنْجَز.

وَهُوَ يَقولُ هُنا: "أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هذَا يَؤُولُ لِي إِلَى خَلاَصٍ بِطَلْبَتِكُمْ وَمُؤَازَرَةِ رُوحِ يَسُوعَ المَسِيحِ". وهُوَ لا يُشيرُ هُنا إلى خَلاصِ نَفْسِهِ، بَلْ إلى خَلاصِهِ وَتَحْريرِهِ مِنَ السِّجْن. وَهُوَ يَعْلَمُ أنَّ اللهَ قادِرٌ على القِيامِ بذلِكَ إنْ كانَتْ هَذِهِ مَشيئَتُهُ مِنْ خِلالِ صَلواتِ مُؤمِني فيلبِّي وَمَعونَةِ رُوْحِ الربِّ يَسوعَ المَسيح.

وفي ذلكَ الوقتِ، كانَ بولسُ الرَّسولُ يَعْلَمُ أنَّهُ سَيَمْثُلُ أمامَ الإمبراطور "نِيرون". وَمَعَ أنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ نَتيجَةَ مُحَاكَمَتِهِ، فَإنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أنَّ الإمبراطور "نيرون" يُعارِضُ الكِرازَةَ بإنْجيلِ يَسوعَ المَسيح. فَقَدْ كانَ نِيْرون يَنْظُرُ إلى يَسوعَ المَسيحِ كَمَصْدَرِ تَهْديدٍ. فَقَدْ أمَرَ نِيرون الشَّعْبَ كُلَّهُ أنْ يُعْلِنوهُ إلهًا. وكانَ مَصيرُ كُلِّ مَنْ يَرْفُضُ ذَلِكَ هُوَ المَوْت. وكانَ بولسُ يَعْلَمُ أنَّ مُواجَهَتَهُ للإمبراطور الطَّاغِيَة "نيرون" لن تَكونَ سَهْلَة. لِذا فإنَّهُ يَطْلُبُ مِنْ مُؤمِني فيلبِّي أنْ يُصَلُّوا لأجْلِهِ لِكَيْ يُعْطيهِ الربُّ القُوَّةَ والشَّجاعَةَ اللَّازِمَتَيْنِ للشَّهادَة. وَكانَ بولسُ يَعْلَمُ يَقينًا أنَّ الربَّ لَنْ يُخْزِيهِ في شَيْءٍ. لِذلكَ، فَقَدْ كانَ مُزْمِعًا على المُجاهَرَةِ بإيمانِهِ حتَّى لو أدَّى ذلكَ إلى اسْتِشْهادِهِ.

وَمِنَ المُدْهِشِ حَقًّا أنَّ كُتُبَ التَّاريخِ تُخْبِرُنا أنَّ الرَّسولَ بولسَ وَقَفَ أمامَ الإمبراطور "نيرون" مَرَّتَيْن. وَيُقالُ إنَّهُ أُبْرِئَ مِنَ التُّهَمِ المَنْسوبَةِ إليهِ في المَرَّةِ الأولى وَأُطْلِقَ سَراحُهُ. وَبَعْدَ بِضْعِ سَنَواتٍ، تَمَّ إلقاءُ القَبْضِ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخرى وَسُجِنَ في رُوما. وَفي هَذِهِ المَرَّةِ، حَكَمَ عليهِ الإمبراطور "نيرون" بالمَوْتِ إعْدامًا بِقَطْعِ رَأسِهِ.

وَهَذا كُلُّهُ يُذَكِّرُنا بِما جَاءَ في الأصْحاحِ العاشِرِ مِنْ إنْجيلِ مَتَّى إذْ قالَ يَسوعُ لِتلاميذِهِ: "هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ. وَلَكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِـي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ". وَلَكِنَّهُ تابِعَ قائِلًا: "فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَـتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَـتَكَلَّمُونَ بِهِ، لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ".

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أنَّ الرَّسولَ بولُسَ وَقَفَ كَمُتَّهَمٍ أمامَ المَلِكِ أغريباس، وَأمامِ الوالي فِيلِكْس، وَأمامَ الوالي فَسْتُوس. وَفي كُلِّ مَرَّةٍ، كانَ بولسُ يَسْتَغِلُّ الفُرْصَةَ للشَّهادَةِ. فَقَدْ شَهِدَ بأَنَّهُ وُلِدَ ثانِيَةً بقوَّةِ الربِّ يَسوعَ المَسيحِ وَنِعْمَتِهِ. وَكانَ بولسُ يَنْظُرُ إلى كُلِّ فُرْصَةٍ تُتاحُ لَهُ للمُثولِ أمامَ أحَدِ الوُلاةِ أوِ المُلوكِ كَفُرْصَةٍ مُواتِيَةٍ للشَّهادَةِ عَنِ الربِّ يسوعَ المَسيح. وَكُلَّما زادَ مَنْصِبُ الشَّخْصِ المَسؤول، زادَتْ شَهادَةُ بولُسَ حَماسَةً لأَنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أَنَّ خَلاصَ شَخْصٍ مِنْ هَؤلاءِ المَسئولينَ رَفيعي المُسْتَوى سَيَكونُ شَهادَةً عَظيمَةً للربِّ يَسوعَ المَسيح.

لذلكَ، عندما وَقَفَ بولسُ أمامَ المَلِكِ أغريباس، قَدَّمَ شَهادَةً قَوِيَّةً. وَبَيْنَمَا هُوَ يَحْتَجُّ بِهذا، قَالَ فَسْتُوسُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: "أَنْتَ تَهْذِي يَا بُولُسُ! الْكُتُبُ الْكَثِيرَةُ تُحَوِّلُكَ إِلَى الْهَذَيَانِ!" فَقَالَ بولُس: "لَسْتُ أَهْذِي أَيُّهَا الْعَزِيزُ فَسْتُوسُ، بَلْ أَنْطِقُ بِكَلِمَاتِ الصِّدْقِ وَالصَّحْوِ. لأَنَّهُ مِنْ جِهَةِ هذِهِ الأُمُورِ، عَالِمٌ الْمَلِكُ الَّذِي أُكَلِّمُهُ جِهَارًا، إِذْ أَنَا لَسْتُ أُصَدِّقُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذلِكَ، لأَنَّ هذَا لَمْ يُفْعَلْ فِي زَاوِيَةٍ".

وَفي خِتامِ شَهادَةِ بولسَ القويَّةِ قالَ للمَلِكِ أغريباس: "أَتُؤْمِنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيبَاسُ بِالأَنْبِيَاءِ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تُؤْمِنُ". فَقالَ لَهُ أغريباس: "بِقَلِيلٍ تُقْنِعُنِي أَنْ أَصِيرَ مَسِيحِيًّا". فَقَالَ بُولُسُ: "كُنْتُ أُصَلِّي إِلَى اللهِ أَنَّهُ بِقَلِيلٍ وَبِكَثِيرٍ، لَيْسَ أَنْتَ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا جَمِيعُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَنِي الْيَوْمَ، يَصِيرُونَ هكَذَا كَمَا أَنَا، مَا خَلاَ هذِهِ الْقُيُود".

وَعِنْدَما وَقَفَ بولسُ أمامَ الإمبراطور نيرون، لا شَكَّ أَنَّهُ كانَ يُفَكِّرُ بالعَقليَّةِ نَفْسِها. فقدْ كانَ يَقولُ في نَفْسِهِ: "كَمْ سيكونُ الأَمْرُ رائِعًا وَيُمَجِّدُ اللهَ الحَيَّ لو أنَّ الإمبراطور نيرونَ نَفْسَهُ اهْتَدى ليسوعَ المَسيح!" وَفي ضَوْءِ مَعْرِفَتِنا بشخصيَّةِ الرَّسولِ بولُسَ، مِنَ المُؤكَّدِ أَنَّهُ قَدَّمَ أقْوى شَهادَةٍ سَمِعَها أيُّ إنْسانٍ على مَرِّ العُصورِ حينَ وَقَفَ أمامَ الإمبراطور نيرون.

وَالغَريبُ في الأمْرِ هُوَ أنَّ الإمبراطور نيرون كانَ حَتَّى ذَلِكَ الوقتِ عاقِلًا وَرَزينًا. ولكِنَّ التَّاريخَ يُدَوِّنُ أَنَّهُ صَارَ مَعْروفًا بِغَرابَتِهِ وَجُنونِهِ المُفاجِئَيْنِ بَعْدَ مُثولِ بولسَ أمامَهُ. وَمِنَ المُحْتَمَلِ جِدًّا أنَّ اللهَ أعْطى الإمبراطور نيرون فُرْصَةً أخيرَةً للتَّوْبَةِ والخَلاصِ مِنْ خِلالِ الرَّسولِ بولُس. فَقَدْ سَمِعَ رِسالَةً خَلاصِيَّةً قَوِيَّةً. وَلَكِنْ بِسَبَبِ رَفْضِهِ القاطِعِ لَها، فَقَدْ حَكَمَ على نَفْسِهِ بالهَلاكِ فَصارَ مَسْكونًا بالأرْواحِ الشرِّيرَةِ.

وَهُناكَ مُؤشِّراتٌ كَثيرَةٌ في كُتُبِ التَّاريخِ على جُنونَ نيرون. فَقَدْ راحَ نيرون يَضْطَهِدُ الكَنيسَةَ بِلا هَوادَةٍ. وَقَدْ كانَ يأمُرُ جُنودَهُ بِحَرْقِ المُؤمِنينَ المَسيحيِّينَ أحْياء إنْ لَمْ يُنْكِروا إيمانَهُم بشخصِ الربِّ يَسوعَ المَسيح. فَقَدْ كانُوا يُقَيِّدونَ المُؤمِنينَ المَسيحيِّينَ إلى أعْمِدَةٍ وَيَسْكُبونَ القَارَ (أي الزِّفْتَ) عليهِمْ ويُضْرِمونَ النَّارَ فيهِمْ في حَديقَةِ قَصْرِ نيرونَ ليلًا. وَكانَ نِيرونَ يَصْعَدُ في مَرْكَبَتِهِ عَارِيًا وَيَجوبُ حَديقَةَ قَصْرِهِ الواسِعَةِ وَهُوَ يُمَتِّعُ ناظِرَيْهِ بِمَشْهَدِ المُؤمِنينَ المُشْتَعِلينَ.

وَيَرى باحِثونَ كَثيرونَ أنَّ الإمبراطورَ نِيْرُون تَغَيَّرَ تَغْييرًا جَذْرِيًّا وَأُصيبَ بِضَرْبٍ مِنَ الجُنونِ بَعْدَ مُثولِ بولُسَ الرَّسولِ أمامَهُ. وَبَعْدَ ذٰلِكَ، أمَرَ نيرونُ رِجالَهُ بإضْرامِ النَّارِ بمَدينَةِ رُوما لأنَّهُ أرادَ أنْ يَبْني مَدينَةً جَديدَةً أعْظَمَ مِنْها لِتَخْليدِ اسْمِهِ. وَقَدْ أُلقِيَ باللَّوْمِ على المَسيحيِّينَ إذِ اتَّهَمَهُمْ زُوْرًا بإحْراقِ رُوما. وَفي تِلْكَ الفَتْرَةِ، تَمَّ إلْقاءُ القَبْضِ على بولُسَ الرَّسولِ ثانِيَةً. وَعِنْدَما وَقَفَ أمامَ نيرون هَذِهِ المَرَّة، حَكَمَ عليهِ نيرون بالإعْدامِ بِقَطْعِ رَأسِهِ.

وَالحَقيقَةُ هِيَ أنَّنا لا نَعْلَمُ يَقينًا ما إذا كانَ الرَّسولُ بولسُ قَدْ كَتَبَ رِسالَتَهُ إلى أهْلِ فيلبِّي في فَتْرَةِ سِجْنِهِ أوَّلَ مَرَّةٍ في رُوما أو في فَتْرَةِ سِجْنِهِ للمَرَّةِ الثَّانِيَةِ. وَأيًّا كانَ الأمْرُ، فإنَّ مَوْقِفَ بولسَ لَمْ يَتَغَيَّر. فَهُوَ يَقولُ هُنا: "كَذٰلِكَ الآنَ، يَتَعَظَّمُ المَسيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ". وَكانَ بولسُ قَدْ كَتَبَ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ غَلاطِيَّة 6: 14: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ". بعبارةٍ أُخرى، فَقَدْ كانَ بولسُ الرَّسولُ يُفَكِّرُ دَوْمًا بأنَّهُ إنْ عَاشَ فَسيكونُ لَهُ الامْتيازُ العُظيمُ بأنْ يَكْرِزَ للمَسيح مُدَّةً أطْوَل. وَإنْ مَاتَ فَسَيَكونُ شَهيدًا ليسوعَ المَسيح أيْضًا.

وَيُتابِعُ بولسُ الرَّسولُ رِسالَتَهُ إلى أهْلِ فيلبِّي فيقولُ في الأصْحاحِ الأوَّلِ وَالعَدَدِ الحادي وَالعِشرين:

لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ وَالْمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ.

فَقَدْ كانَ السيِّدُ المَسيحُ مَرْكِزَ حَياةِ الرَّسولِ بولُس. وَسُؤالي لَكَ، يا صَديقي، هُوَ: لو أرَدْتَ أنْ تُعَبِّرَ عَنْ حَياتِكَ بِجُمْلَةٍ قَصيرَةٍ، مَا الذي سَتَقولُه؟ بعبارةٍ أُخرى، لَوْ ابْتَدَأتَ بالقَوْل: "لأنَّ لِيَ الحَياةَ هِيَ ..." كَيْفَ سَتُنْهي هَذِهِ الجُمْلَة؟ وَما الكَلِمَةُ التي سَتُعَبِّرُ فيها عَنْ مَغْزى حَياتِكَ؟ فَهَلْ سَتَقولُ: "لأنَّ لِيَ الحَياةَ هِيَ سَيَّارَتي الفاخِرَة؟" أوْ: "لأنَّ لِيَ الحَياةَ هِيَ اللَّهْوُ وَالمَرَحُ؟" أوْ: "لأنَّ لِيَ الحَياةَ هِيَ المَالُ؟" فَالنَّاسُ يَعيشونَ لأهْدافٍ كَثيرَةٍ جِدًّا. وَلٰكِنَّ بولسَ الرَّسولَ كانَ يَعيشُ لأجْلِ السيِّدِ المَسيح في المَقامِ الأوَّلِ. لِذا فإنَّهُ يَقولُ "لأنَّ لِيَ الحَياةَ هِيَ المَسيحُ".

وَلأنَّ المَسيحَ هُوَ حَياتُهُ، فَهُوَ يَقولُ أيْضًا: "والمَوْتُ هُوَ رِبْحٌ!" وَالحَقيقَةُ هِيَ أنَّكَ لا تَسْتَطيعُ أنْ تُرَدِّدَ مَا قالَهُ بولسَ هُنا إذا كُنْتَ تَعيشُ لِهَدَفٍ آخَرَ وَغايَةٍ أُخرى. فَإذا قُلْتَ إنَّ

الحَياةَ هِيَ المَالُ، فَسَوْفَ يَكونُ المَوْتُ بالنِّسْبَةِ إليكَ هُوَ خَسارَةُ ذَلِكَ المَال. وَفي حَالٍ كَهَذِهِ سَيَكونُ المَوْتُ خَسارَةً.

لِذا، لا يُمْكِنُكَ أنْ تَقولَ إنَّ المَوْتَ رِبْحٌ إلَّا إذا كُنْتَ تَعيشُ لأجْلِ الربِّ يَسوعَ المَسيح. وَفي ضَوْءِ هَذا الحَقِّ، لا يَنْبَغي لَنا أنْ نَحْزَنَ على مَوْتِ المُؤمنينَ المَسيحيِّينَ. فَيُمْكِنُنا أنْ نَحْزَنَ على فُقْدانِنا لَهُمْ، ولَكِنْ ليسَ عَلَيْهِم. فالأشْخاصُ الذينَ بِلا رَجاء هُمُ الذينَ يَسْتَحِقُّونَ أنْ نَحْزَنَ عَلَيْهِمْ لأنَّنا نَعْلَمُ أنَّهُمْ مَاضُونَ إلى عَذابٍ أبَدِيٍّ. أمَّا بالنِّسْبَةِ إلى المُؤمِنِ المَسيحيِّ الحَقيقيِّ فإنَّ المَوْتَ رِبْحٌ لَهُ لأنَّهُ سيكونُ مَعَ المَسيحِ إلى أبَدِ الآبِدين.

وَيُتابِعُ بولسُ حَديثَهُ قَائِلًا في العَدَدِ الثَّاني والعِشرين:

وَلكِنْ إِنْ كَانَتِ الْحَيَاةُ فِي الْجَسَدِ هِيَ لِي ثَمَرُ عَمَلِي، فَمَاذَا أَخْتَارُ؟ لَسْتُ أَدْرِي!

بِمَعْنىً آخَر، لَوْ سَألْتَ الرَّسولَ بولسَ آنَذاكَ: ماذا تَخْتارُ يا بولُس؟ أتُريدُ أنْ تَموتَ أمْ أنْ تَحْيا؟ فإنَّهُ سَيُجيبُكَ قائِلًا: "لَسْتُ أدْري!" وَهُوَ يُوَضِّحُ قَصْدَهُ قائِلًا في العَدَدِ الثَّالِثِ وَالعِشْرين:

فَإِنِّي مَحْصُورٌ مِنَ الاثْنَيْنِ: لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا.

وَهَذا يُرينا أنَّ الرَّسولَ بولسَ لَمْ يَكُنْ يُؤمِنُ بِرُقادِ النَّفْس، بَلْ بِرُقادِ الجَسَدِ فَقَطْ. فَقَدْ كانَ يَعْلَمُ أنَّهُ عِنْدَما يَموتُ، فإنَّ رُوْحَهُ ستَكونُ مَعَ الربِّ يَسوعَ في السَّماءِ في الحَال.

وَمِنْ جِهَةٍ ثانِيَةٍ، فإنَّ الرَّسولَ بولسَ يَقولُ في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ فيلبِّي 1: 24:

وَلكِنْ أَنْ أَبْقَى فِي الْجَسَدِ أَلْزَمُ مِنْ أَجْلِكُمْ.

إذًا، مَعَ أنَّهُ كانَ يُفَضِّلُ الانْطِلاقَ ليكونَ مَعَ المَسيح، فإنَّهُ يَرى أنَّ وُجودَهُ بينَ المُؤمِنينَ أمْرٌ لازِمٌ مِنْ أجْلِهِمْ. وَهَذا يُرينا أنَّ الرَّسولَ بولسَ لَمْ يَكُنْ شَخْصًا أنانيًّا البَتَّة، بَلْ كانَ يُفَكِّرُ دائِمًا في الآخَرين.

ثُمَّ يَقولُ بولسُ الرَّسولُ في العَدَدِ الخامِسِ والعِشرين:

فَإِذْ أَنَا وَاثِقٌ بِهذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَمْكُثُ وَأَبْقَى مَعَ جَمِيعِكُمْ لأَجْلِ تَقَدُّمِكُمْ وَفَرَحِكُمْ فِي الإِيمَانِ،

فَقَدْ كانَ بولسُ يَعْلَمُ يَقينًا أنَّ وُجودَهُ مُدَّةً أطْوَلَ على الأرْضِ سيكونُ مَصْدَرَ فَرَحٍ وَتَشْجيعٍ للمُؤمِنين.

وَهُوَ يُتابِعُ حَديثَهُ قائِلًا في العَدَدَيْنِ السَّادِسِ وَالعِشرين والسَّابِعِ وَالعِشرين:

لِكَيْ يَزْدَادَ افْتِخَارُكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ فِيَّ، بِوَاسِطَةِ حُضُورِي أَيْضًا عِنْدَكُمْ. فَقَطْ عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، حَتَّى إِذَا جِئْتُ وَرَأَيْتُكُمْ، أَوْ كُنْتُ غَائِبًا أَسْمَعُ أُمُورَكُمْ أَنَّكُمْ تَثْبُتُونَ فِي رُوحٍ وَاحِدٍ، مُجَاهِدِينَ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ لإِيمَانِ الإِنْجِيلِ،

فَإنْ جَاءَ بولسُ لِزيارَتِهِمْ ثانِيَةً، سيكونُ ذَلِكَ سَبَبًا إضافِيًّا في فَرَحِهِمْ وَابْتِهاجِهِمْ في الربِّ. لِذا فإنَّهُ يُوْصيهِمْ بأنْ يَعيشوا حَياةً تَليقُ بإنْجيلِ الربِّ يَسوعَ المَسيح. فَهُوَ يَتوقُ دائِمًا إلى سَماعِ أخْبارِهِمِ الطَّيِّبَةِ أيْ أنَّهُمْ ثابِتونَ في إيمانِهِمْ في رُوْحٍ واحِدٍ، وَأنَّهُمْ يُجاهِدونَ مَعًا بنفسٍ واحِدَةٍ لإعْلانِ بِشارَةِ الإنْجيل.

وَيُتابِعُ بولسُ الرَّسولُ حَديثَهُ قائلًا في العَدَدَيْنِ الثَّامِنِ والعِشرينَ والتَّاسِعِ والعِشرين:

غَيْرَ مُخَوَّفِينَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُقَاوِمِينَ، الأَمْرُ الَّذِي هُوَ لَهُمْ بَيِّنَةٌ لِلْهَلاَكِ، وَأَمَّا لَكُمْ فَلِلْخَلاَصِ، وَذلِكَ مِنَ اللهِ. لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لاَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ.

وَهَذا يَعني أنَّهُ يَنْبَغي للمُؤمِنينَ المَسيحِيِّينَ أنْ يَتَوَقَّعوا المُقاوَمَةَ والاضْطِهادَ في هَذا العالَمِ. وَكَما أنَّ الإيمانَ بالسيِّدِ المَسيحِ هُوَ امْتيازٌ لَنا، فإنَّ التألُّمَ لأجْلِهِ هُوَ امْتيازٌ لَنا أيْضًا.

وَأخيرًا، يَقولُ الرَّسولُ بولسُ في رِسالَتِه إلى أهْلِ فيلبِّي 1: 30:

إِذْ لَكُمُ الْجِهَادُ عَيْنُهُ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ فِيَّ، وَالآنَ تَسْمَعُونَ فِيَّ.

فَقَدْ كانَ الرَّسولُ بولسُ قُدْوَةً لَهُمْ في التألُّمِ لأجْلِ السيِّدِ المَسيح. وَما دامُوا يُجاهِدونَ الجِهادَ نَفْسَهُ، يَنْبَغي لَهُمْ أنْ يُدْرِكوا أنَّ هَذِهِ الآلامَ قَدْ تَجْري عليهِمْ هُمْ أيْضًا.

وَبِهَذا نَكونُ قَدْ وَصَلْنا، أحِبَّاءَنا المُستمعينَ، إلى نِهايَةِ الأصْحاحِ الأوَّلِ مِنَ الرِّسالَةِ إلى أهْلِ فيلبِّي.

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

في الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَيُتابِعُ الرَّاعي "تْشَك سميث" دِراسَتَهُ لِهَذِهِ الرِسالَةِ العَظيمَةِ بِمَشيئَةِ الربِّ! لِذَا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة كَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَع كَلِمَةٍ خِتاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

صَلاتُنا لأجْلِكَ، صَديقي المُستمع، هِيَ أنْ تَعيشَ كَما يَحِقُّ لإنْجيلِ الربِّ يَسوعَ المَسيح، وَأنْ تَكونَ حَياتُكَ مَرْضِيَّةً أمامَهُ كُلَّ حِيْن. وصَلاتُنا لأجْلِكَ أيْضًا هِيَ أنْ يَسْتَخْدِمَكَ اللهُ لِتَمْجيدِ اسْمِهِ القُدُّوس. باسْمِ يَسوعَ المَسيح. آمين!